مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاخِرِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ

مِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَالسَّاخِرِينَ: الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَهْبٍ الزُّهْرِيُّ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ الطُّلَاطِلَةِ الْخُزَاعِيُّ.

وَرَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ؛ لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ فِيهِمْ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]».

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام رَمَىٰ فِي وَجْهِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَقَةً خَضْرَاءَ فَعَمِيَ، وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَأَشَارَ إِلَىٰ بَطْنِهِ فَاسْتَسْقَىٰ بَطْنُهُ فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَأَشَارَ إِلَىٰ جُرْحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبِ رِجْلِهِ -وَكَانَ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِسِنِينَ- فَانْتُقِضَ بِهِ فَقَتَلَهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَأَشَارَ إِلَىٰ أَخْمَصِ رِجْلِهِ فَخَرَجَ عَلَىٰ حِمَارٍ لَهُ يُرِيدُ الطَّائِفَ، فَرَبَضَ بِهِ حِمَارُهُ عَلَىٰ نَبَاتٍ خَفِيفٍ فَدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ رِجْلِهِ مِنْهَا شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ، وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ الطُّلَاطِلَةِ فَأَشَارَ إِلَىٰ رَأْسِهِ فَتَحَرَّكَ الْقَيْحُ فِيهِ فَقَتَلَهُ.

وَمِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاخِرِينَ أَيْضًا: أَبُو جَهْلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ.

لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ بَادِئَ الْأَمْرِ أَنْ تَبْطِشَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْتَدِيَ عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ؛ فَجَعَلُوا يَهْمِزُونَهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيُخَاصِمُونَهُ، وَكَانَ عَلَىٰ رَأْسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: أَبُو لَهَبٍ عَمُّهُ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زُمْعَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، أَقْبَلَتْ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ:

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا... وَدِينَهُ قَلَيْنَا... وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا!!

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَوَقَفَتْ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَوَلَّتْ، وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا.

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِشَوَاهِدِهِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، جَاءَتْ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ

ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ، فَلَوْ قُمْتَ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا، وَمَا يَقُولُ الشِّعْرُ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ، وَانْصَرَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ تَرَكَ؟! قَالَ ﷺ: «**لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ**».

كَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ «مُذَمَّمًا» ثُمَّ يَسُبُّونَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**». ﷺ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ: «كَانَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهِيَتِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ الدَّالِّ عَلَىٰ الْمَدْحِ -مُحَمَّدٍ- فَيَعْدِلُونَ إِلَىٰ ضِدِّهِ، فَيَقُولُونَ مُذَمَّمٌ، وَإِذَا ذَكَرُوهُ بِسُوءٍ قَالُوا: فَعَلَ اللهُ بِمُذَمَّمٍ، وَمُذَمَّمٌ لَيْسَ هُوَ اسْمَهُ، وَلَا يُعْرَفُ بِهِ فَكَانَ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَصْرُوفًا إِلَىٰ غَيْرِهِ».

أَمَّا زَوْجُهَا أَبُو لَهَبٍ، فَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْأَسْوَاقِ، وَالْمَجَامِعِ، وَمَوَاسِمِ الْحَجِّ، وَيُكَذِّبُهُ.

فِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: قَالَ: وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَىٰ عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ.

يَعْنِي: لَمْ يَكْتَفِ بِرَمْيِهِ بِحِجَارَةِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ الْحِجَارَةَ لِيَرْمِيَهُ بِهَا حَتَّىٰ أَدْمَىٰ عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَهُ ﷺ!!

هَذِهِ مَوَاقفُ لَوْ عَرَضَتْ لَكَ، أَوْ تَصَوَّرْتَهَا تَصَوُّرًا حَقِيقِيًّا؛ لَعَلِمْتَ أَنَّهَا مَهِينَةٌ جِدًّا، وَمُهِينَةٌ جِدًّا، فَرَجُلٌ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَيَمْشِي وَرَاءَهُ مَنْ يَقُولُ: لَا تُصَدِّقُوهُ، هُوَ ابْنُ أَخِي وَهُوَ مَجْنُونٌ، هُوَ كَذَّابٌ، هُوَ كَذَا!! ثُمَّ لَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ؛ بَلْ كَالْمَجْنُونِ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ يَلْتَقِطُهَا وَيَقْذِفُ النَّبِيَّ ﷺ بِتِلْكَ الْحِجَارَةِ حَتَّىٰ أَدْمَىٰ عُرقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ، وَالرَّسُولُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَنِي وَلَا يَكُفُّ عَنْ قَوْلِهِ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

فَمَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ ﷺ، وَمَا أَعْظَمَ مَا احْتَمَلَ ﷺ؛ لِكَيْ يُبَلِّغَ هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ إِلَىٰ الْبَشَرِ، إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأُمَّتُهُ الَّتِي تُؤْمِنُ بِهِ -أُمَّةُ الْإِجَابَةِ- هَلْ تُفَرِّطُ الْآنَ فِي دَعْوَتِهِ؟ فِي دِينِهِ؟ فِي رِسَالَتِهِ؟ أَوْ هِيَ آخِذَةٌ بِذَلِكَ حَقَّ الْأَخْذِ، وَهِيَ مُتَّقِيَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ التَّقْوَىٰ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِالْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهَا لِلْبَشَرِ؟

لِأَنَّهَا تَحْمِلُ رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، فَكُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ أَرْسَلَ اللهُ نَبِيًّا؛ حَتَّىٰ جَاءَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَمَنْ يُبَلِّغُ النَّاسَ رِسَالَتَهُ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ؟

إِنَّهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسِ، يَحْمِلُونَ الْمِيرَاثَ الَّذِي يُوَرِثُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ وَهُوَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُبَلِّغُوهُ إِلَىٰ النَّاسِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا عَلَىٰ النَّاسِ دِينَهُمْ، وَأَنْ يَكُفُّوهُمْ

عَنِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ، وَعَنْ مَزَالِقِ السُّوءِ وَأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحْمِلُونَ أَمَانَتَهُ فَهَلْ أَدَّوْهَا؟

وَالدُّعَاةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ هَلْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَلِّمُوهُمْ إِيَّاهُ، أَمْ يُهَوِّمُونَ بِهِمْ فِي كُلِّ وَادٍ، وَيَسِيرُونَ بِهِمْ فِي طُرُقٍ بِهَا مَزَالِقُ لَا تَتَمَاسَكُ عَلَيْهَا الْأَقْدَامُ؟! مَا الَّذِي يَجْرِي وَمَا الَّذِي يَدُورُ؟!

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ الْجَمِيعَ إِلَىٰ الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا.

وَأَمَّا شِدَّةُ عَدَاوَةِ عُتْيَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ:

فَقَدْ تَسَلَّطَ عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْأَذَىٰ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ**».

فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عُتَيْبَةُ فِي قَافِلَةٍ إِلَىٰ الشَّامِ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ، وقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ. أَخْرَجَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ، وَأَوْرَدَهُ الشَّوْكَانِيُّ فِي «النَّيْلِ» وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ.

فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ -أَيْ: سَبُعًا عَقُورًا- فَهَزَمَهُ، وهَمَزَهُ، وَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ؛ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَاعْجَبْ مَا شِئْتَ مِنْ هَذَا الْكَافِرِ وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ مَعَهُ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ!! فَلِمَ لَمْ تَتَّبِعْهُ؟!

فَقَدْ طَلَّقَ ابْنَتَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَزِيدَ شُغُلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأُمُورِ أُسْرَتِهِ عَنْ تَمَامِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ.

وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِذَا رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١-٩].

وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يُجَادِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَخُو أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ.

أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ جَاءَ يَوْمًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَظْمٍ بَالٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرِمَ، ثُمَّ فَتَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ**»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٧٩-٨٣].

فِي هَذَا الْعَصْرِ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّزْعَةَ الْمَادِّيَّةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا يُحِسُّونَ وَيُدْرِكُونَ بِحَوَاسِّهِمْ!! هَلْ هَذَا بِجَدِيدٍ؟!

هَذَا كَمَا تَرَىٰ!! إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقُولَ إِنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ كَانَ يَنْحُو نَحْوَ النَّزْعَةِ الْمَادِّيَّةِ فِي عَصْرِهِ؛ فَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِغَيْبٍ، وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُ تَعَامُلًا مُبَاشِرًا مَعَ الْمَادَّةِ، وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِهَا، فَيَأْتِي بِعِظَامٍ مِنَ الْعِظَامِ الَّتِي هِيَ رَمِيمٌ، يَفُتُّهَا بِيَدِهِ، يَنْفُخُ ذَلِكَ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ، وَيَقُولُ: تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا؟

الرَّدُّ عَلَيْهِ بِالنَّزْعَةِ الْمَادِّيَّةِ يَكُونُ رَدًّا مَادِّيًّا، وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ تُتْلَىٰ إِلَىٰ أَنْ يَرْفَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

فَلَا تَجْزَعَنَّ إِذَا ابْتُلِيتَ بِمَادِّيٍّ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا يُحِسُّهُ؛ يَرَاهُ، يَسْمَعُهُ، يَلْمَسُهُ، يَشُمُّهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ!! وَإِذَا جَادَلْتَهُ فَجَادِلْهُ بِكَلَامِ اللهِ؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَقَارُونَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيٍّ صَاحِبِ الْعِظَامِ**». فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ كَلَامٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ.

عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي: الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ.

فَأَخْرَجَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ -أَيْ: قَدْ تَغَيَّرَ، غَيَّرَهُ الْبِلَىٰ- فَفَتَّهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللهُ هَذَا بَعْدَمَا أَرِمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ يَبْعَثُ اللهُ هَذَا، وَيُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ**»، قَالَ: فَنَزَلَتْ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَىٰ كُلِّ تَقْدِيرٍ سَوَاءً كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَوْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لِلْجِنْسِ؛ فَيَعُمُّ كُلَّ مُنْكِرٍ لِلْبَعْثِ».

كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ فَجَادِلْهُمْ بِالْقُرْآنِ جِهَادًا كَبِيرًا.

رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ صَنَعَ طَعَامًا، ثُمَّ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ مِنْ طَعَامِكَ حَتَّىٰ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**»، فَقَالَ عُقْبَةُ: اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ ﷺ: «**مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّىٰ تَقُولَ**»، فَتَشَهَّدَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِذَلِكَ، فَطَعِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ طَعَامِهِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ -وَكَانَ صَاحِبَهُ- فَأَتَاهُ فَقَالَ: صَبَوْتَ يَا عُقْبَةُ؟ فَقَالَ

عُقْبَةُ: لَا، وَاللهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنْ دَخَل عَلَيَّ الرَّجُلُ فأَبَىٰ أَنْ يَطْعَمَ مِنْ طَعَامِي إِلَّا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ، فَشَهِدْتُ لَهُ، فَطَعِمَ، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَرْضَىٰ عَنْكَ أَبَدًا حَتَّىٰ تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ -أَيْ: فَتَتْفُلَ فِي وَجْهِهِ-، فَذَهَبَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ -لَعَنَهُ اللهُ- إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَزَقَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمَا -أَيْ: فِي عُقْبَةَ وَأُبَيٍّ-: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

هُنَا يَعْرِضُ الْقُرْآنُ مَشْهَدًا مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُصَوِّرُ نَدَمَ الظَّالِمِينَ الضَّالِّينَ؛ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ يُوَلْوِلُ ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وَأَمَّا الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ:

فَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ، وَمِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُصِيبُ مِنْهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَنَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٣].

وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِمَّنْ يُجَادِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَنَالُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: أَيُنْزَلُ القُرْآنُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأُتْرُكُ وَأَنا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، وَيُتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ؟ فَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرْيَتَيْنِ؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ كَانَ أَيْضًا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ: لَقَدِ انْقَطَعَ نَسْلُهُ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، لَوْ قَدْ مَاتَ لَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

وَقَدْ رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا -الْقَيْنُ: بِفَتْحِ الْقَافِ هُوَ الْحَدَّادُ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ صَائِغٍ عِنْدَ الْعَرَبِ قَيْنًا- فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ تُبْعَثُ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثُ، فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ؛ فَنَزَلَ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٨٠].

رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ أَوْصَىٰ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ مِئَةَ رَقَبَةٍ، فَأَعْتَقَ ابْنُهُ هِشَامٌ خَمْسِينَ رَقَبَةً، فَأَرَادَ ابْنُهُ عَمْرٌو أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ الْخَمْسِينَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: حَتَّىٰ أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبِي أَوْصَىٰ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ مِئَةَ رَقَبَةٍ، وَإِنَّ هِشَامًا أَعْتَقَ عَنْهُ خَمْسِينَ، وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ رَقَبَةً، أَفَأَعْتِقُ عَنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ؛ بَلَغَهُ ذَلِكَ**».

وَتَأَمَّلْ فِي لُطْفِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ عَمْرٍو؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَخُصُّ أَبَاهُ، فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُجَبِّهَهُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ تِجَاهَ أَمْثَالِ أَبِي جَهْلٍ؛ لِأَنَّ وَلَدَهُ عِكْرِمَةَ رضي الله عنه صَارَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا يَسُبُّونَ أَبَا جَهْلٍ، فَنَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ الْمَيِّتَ وَهُوَ يُؤْذِي الْحَيَّ.

فَلَمَّا سَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ أَبِيهِ؛ لَمْ يُجَبِّهْهُ بِأَنَّ أَبَاهُ قَدْ مَاتَ كَافِرًا فَلَا يَنْفَعُهُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ فِي النَّصِّ «**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ؛ بَلَغَهُ ذَلِكَ**»؛ يَعْنِي: وَلَكِنَّهُ مَاتَ كَافِرًا فَلَنْ يَبْلُغَهُ.

كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزَّبَعْرَىٰ مِمَّنْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّىٰ جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّىٰ أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠].

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَىٰ السَّهْمِيُّ حَتَّىٰ جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لِعَبْدِ اللهِ: وَاللهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آنِفًا وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُه لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُّوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَىٰ تَعْبُدُ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزِّبَعْرَىٰ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدِ احْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ**»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

يَعْنِي: عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرًا عليهما السلام، وَمَنْ عَبَدُوا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُوهُمْ -مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ- أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، أُولَئِكَ عَنِ النَّارِ مُبْعَدُونَ لَا يَدْخُلُونَهَا أَبَدًا.

وَنَزَلَ فِيمَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وَخُصُومَتِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ عليه السلام؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٩-٦١].

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ، وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَىٰ تَعْبُدُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ. فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ**

صَالِحًا فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ قَالَ يَضُجُّونَ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

أَمَّا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، فَكَانَ -لَعَنَهُ اللهُ- يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَيُؤْذِيهِ بِالْقَوْلِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمًا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، يَزْعُمُ أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي النَّارِ يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، إِنَّمَا الزَّقُّومُ التَّمْرُ وَالزُّبْدُ، هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا وَتَزَقَّمُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ**﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُّومُ!!**».

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ مَرَّةً رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ، لَتَتْرُكُنَّ سَبَّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَسُبَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿**وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ فَكَفَّ عِنْدَئِذٍ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سَبِّ آلِهَتِهِمْ، وَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ نَاهِيًا رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِّ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا؛ وَهِيَ مُقَابَلَةُ الْمُشْرِكِينَ بِسَبِّ إِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِمَفْسَدَةٍ أَرْجَحَ مِنْهَا؛ مِنْهُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»».

كُلُّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا كَانُوا فِي شُغُلٍ شَاغِلٍ بِالِاسْتِهْزَاءِ وَالْإِيذَاءِ، يَجْتَهِدُونَ فِي أَذِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَفَنَّنُونَ فِي ذَلِكَ.

فَمِنَ الْقِصَصِ الَّتِي تُبَيِّنُ اسْتِهْزَاءَ أَبِي جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ-؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ جُنُودَ اللهِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَكُمْ فِي النَّارِ، وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا وَكَثْرَةً، أَفَيَعْجِزُ كُلُّ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ

-يَعْنِي: مَنِ التِّسْعَةَ عَشَرَ-؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: «أَيْ مَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ وَكَثْرَتَهُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّمَا هُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الْمَرْوِيِّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «**فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**»».

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ مُتَيَقِّنًا مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِه»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِالشَّوَاهِدِ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: قَدْ نَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَلَا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَتِلْكَ صُوَرٌ مِنَ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُحْزِنُهُ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَبِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فَهَمَزُوهُ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَعْدٌ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُؤَدِّيًا إِلَىٰ قَوْمِهِ النَّصِيحَةِ، فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الشَّرِّ، وَأَكْثَرُوا الِاسْتِهْزَاءَ؛ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

رَوَىٰ أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رُكَانَةَ بْنَ عَبْدِ يَزِيدَ صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَلَىٰ مِئَةٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا وَضَعَ ظَهْرِي عَلَىٰ الْأَرْضِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَامَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيْهِ غَنَمَهُ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا

الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

- وَهَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا قُرَيْشٌ مِنْ أَجْلِ مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

٦- بِالْإِتْيَانِ بِالْأَسْئِلَةِ التَّعْجِيزِيَّةِ.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ - فَقَالُوا: لَمْ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ نَحْنُ إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ يُؤْتَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

آيَةُ الرُّوحِ هَذِهِ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟

وَقَعَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ يَعْنِي: مَا حَاجَتُكُمْ إِلَيْهِ؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ؛ فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «قَدْ يُجَابُ عَنْ هَذَا: بِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُ يُجِيبُهُمْ عَمَّا سَأَلُوهُ بِالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمِ إِنْزَالُهَا عَلَيْهِ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «يُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ يَتَعَدَّىٰ النُّزُولُ بِحَمْلِ سُكُوتِهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَىٰ تَوَقُّعِ مَزِيدِ بَيَانٍ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ سَاغَ هَذَا وَإِلَّا فَمَا فِي الصَّحِيحِ أَصَحُّ».

www.menhag-un.com

عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

أَمَّا عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَالْأَحَادِيثُ:

فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ، حَالَ الْحَسَدُ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَعَتَوْا عَلَىٰ اللهِ، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عِيَانًا، وَلَجُّوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]؛ أَيِ: اجْعَلُوهُ لَغْوًا وَبَاطِلًا، وَاتَّخَذُوهُ هُزُوًا لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ نَاظَرْتُمُوهُ أَوْ خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ.

فَمَاذَا يَصْنَعُونَ؟!

لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ، وَإِنْ سَمِعْتُمُوهُ فَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ!!

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، جَعَلُوا إِذَا جَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَيَأْبَوْنَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، اسْتَرَقَ السَّمْعَ دُونَهُمْ؛ فَرَقًا مِنْهُمْ، فَإِنْ رَأَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيَةَ

أَذَاهُمْ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ -وَهُوَ مِنْهُمْ!!-، وَإِنْ خَفَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَظَنَّ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَسَمِعَ هُوَ شَيْئًا دُونَهُمْ أَصَاخَ لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي سَبَبِ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا تُسْمِعَهُمْ ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

أَمَّا زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَالُونَ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ فَمِ الْمَأْمُونِ ﷺ:

كَانَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ يَسْتَشْعِرُونَ حَلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُكَابِرُونَ؛ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ بَشَرٍ، كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْعِنَادُ وَالْحَسَدُ وَالْكِبْرُ!!

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ؛ هُمْ: أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، خَرَجُوا لِيَلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ

ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَآكُمْ بَعْضُ سُفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا نَبْرَحُ حَتَّىٰ نَتَعَاهَدَ أَلَّا نَعُودَ، فَتَعَاهَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَخَذَ عَصَاهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ فَأَتَىٰ أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعَتْ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ؛ وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا، وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا، وَسَمِعَتْ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا، وَلَا مَا يُرَادُ بِهَا.

قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتَ بِهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّىٰ أَتَىٰ أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَل عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ؛ مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَاذَا سَمِعْتُ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرُّكَبِ، وَكُنَّا

كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ. فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَتَرَكَهُ.

يَصْنَعُونَ هَذَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ!! ثُمَّ يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟

يَعْنِي: سَتَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ وَلَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ فِينَا أَبَدًا!! فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرَّكْبِ -يَعْنِي: تَسَاوَيْنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ-؟!

أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرُّكَبِ، وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ.

عِلَلٌ نَفْسِيَّةٌ بَاطِنَةٌ تَحُولُ دُونَ الْمَرْءِ وَدُونَ الْإِيمَانِ، وَتَصْرِفُ الْإِنْسَانَ عَنْ التَّأَمُّلِ الْحَقِّ فِيمَا يَسْمَعُ، وَمَا يَرَىٰ، وَمَا يَعْرِضُ لَهُ، فَلَا يَمُرُّ عَلَىٰ عَقْلِهِ وَلَا يَنْزَلِقُ إِلَىٰ قَلْبِهِ؛ وَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ عَلَىٰ حَسَبِ عَصَبِيَّتِهِ، وَعَلَىٰ حَسَبِ جَهْلِهِ وَحَسَدِهِ وَسُوءِ طُوِيَّتِهِ.

الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ مَنَعَا أَبَا جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ:

رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ: «**يَا أَبَا الْحَكَمِ!**

هَلُمَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَىٰ اللهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتُ؟ فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتُ، فَوَاللهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقًّا مَا اتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ بَنُو قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ؛ فَقُلْنَا نَعَمْ، فَقَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللِّوَاءُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاكَتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ، وَاللهِ لَا أَفْعَلُ.

فَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ الصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّهِ، وَتَكْذِيبِ نَبِيِّهِ ﷺ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ؛ وَهُمَا عِلَّتَانِ بَاطِنَتَانِ، وَكَثِيرًا مَا يُصِيبَانِ -أَوْ تُصِيبَانِ- كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَلَا يَقْبَلُونَ الْحَقَّ.

لَيْسَ هَاهُنَا ضَرْبٌ لِلْمَثَلِ؛ يَعْنِي: لَا يُقَاسُ وَلَا يُمَثَّلُ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ؛ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْعِلَلَ لَمْ تَدَعْ كَافِرًا وَلَا مُسْلِمًا!! عِلَلٌ بَاطِنَةٌ مِنَ الْكِبْرِ، وَمِنَ الْحَسَدِ، وَمِنَ الْحِقْدِ، وَمِنَ الْغِلِّ، وَمِنَ الْغِشِّ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آفَاتِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ حَذَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.

- مِنْ أَسَالِيبِ مُحَارَبَةِ هَؤُلَاءِ لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

٧- أُسْلُوبُ الْمُجَادَلَةِ مَعَ مُحَاوَلَةِ التَّعْجِيزِ.

أَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَالْأَدِلَّةَ عَلَىٰ صِحَّةِ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَخْدَمَ فِي مُجَادَلَتِهِ مَعَ الْكُفَّارِ أَسَالِيبَ كَثِيرَةً، اسْتَنْبَطَهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي إِقَامَةِ

الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَاسْتِخْدَامِ الْأَقْيِسَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ، وَاسْتِحْضَارِ التَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَمِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا ﷺ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ:

يَعْنِي: أَنْتَ عِنْدَمَا تَنْظُرُ فِيهَا الْآنَ تَقُولُ: إِنَّهَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ مِمَّا يَفْهَمُهُ أَهْلُ الْعَصْرِ، وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَسْتَخْدِمْ أَقْيِسَةً مَنْطِقِيَّةً، وَلَا أَقَامَ حُجَجًا عَقْلِيَّةً؛ لِأَنَّ الَّذِي كَانَ يُجَادِلُ بِهِ وَيُجَاهِدُ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا هُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، فَلَا يُقَالُ فِيهِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَذَا عَلَىٰ لُغَةِ أَهْلِ الْعَصْرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذَ الدَّاعِيَةُ بِزَادٍ حَسَنٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجَابِهَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَتِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَمُجَادَلَةِ الْمُجَادِلِينَ.

مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ:

- أُسْلُوبُ الْمُقَارَنَةِ:

وَذَلِكَ بِعَرْضِ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا هُوَ الْخَيْرُ الْمَطْلُوبُ التَّرْغِيبُ فِيهِ، وَالْآخَرُ هُوَ الشَّرُّ الْمَطْلُوبُ التَّرْهِيبُ مِنْهُ، وَذَلِكَ بِاسْتِثَارَةِ الْعَقْلِ، لِلتَّفَكُّرِ فِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ، وَعَاقِبَتِهِمَا لِلْوُصُولِ بَعْدَ الْمُقَارَنَةِ إِلَىٰ تَفْضِيلِ الْخَيْرِ وَاتِّبَاعِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ قَارِنُوا أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ مَيْتًا؛ أَيْ: فِي الضَّلَالَةِ هَالِكًا حَائِرًا، فَأَحْيَاهُ اللهُ؛ أَيْ: أَحْيَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ وَهَدَاهُ لَهُ، وَوَفَّقَهُ لِاتِّبَاعِ رُسُلِهِ». فَهَذَا أُسْلُوبُ الْمُقَارَنَةِ.

- أُسْلُوبُ التَّقْرِيرِ:

وَهُوَ أُسْلُوبٌ يَؤُولُ بِالْمَرْءِ بَعْدَ الْمُحَاكَمَةِ الْعَقْلِيَّةِ، إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِالْمَطْلُوبِ، الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الدَّعْوَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٤٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: «وَهَذَا الْمَقَامُ فِي إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؛ أَيْ: أُوجِدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَيْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلِ اللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا». وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ مِنْ حَيْثُ الْحُجَّةُ الْعَقْلِيَّةُ.

- أُسْلُوبُ الْإِمْرَارِ وَالْإِبْطَالِ:

وَهُوَ أُسْلُوبٌ قَوِيٌّ فِي إِفْحَامِ الْمُعَانِدِينَ أَصْحَابِ الْغُرُورِ وَالصَّلَفِ، بِإِمْرَارِ أَقْوَالِهِمْ، وَعَدَمِ الِاعْتِرَاضِ عَلَىٰ بَعْضِ حُجَجِهِمْ الْبَاطِلَةِ، مَنْعًا لِلْجَدَلِ وَالنِّزَاعِ، وَخُلُوصًا إِلَىٰ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ تَدْمَغُهُمْ وَتُبْطِلُ حُجَّتَهُمْ، فَتَبْطُلُ الْأُولَىٰ بِالتَّبَعِ.

وَفِي قِصَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام مَعَ فِرْعَوْنَ، نَمُوذَجٌ مُطَوَّلٌ لِهَذَا الْأُسْلُوبِ، حَيْثُ أَعْرَضَ مُوسَىٰ عَنْ كُلِّ اعْتِرَاضٍ وَشُبْهَةٍ أَوْرَدَهَا فِرْعَوْنُ، وَمَضَىٰ إِلَىٰ إِبْطَالِ دَعْوَىٰ الْأُلُوهِيَّةِ لِفَرْعَوْنَ مِنْ خِلَالِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأُلُوهِيَّتِهِ؛ وَذَلِكَ فِي الْآيَاتِ مِنْ «سُورَةِ الشُّعَرَاء» قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

وَهَكَذا كَانَتْ الْأَسَالِيبُ الْقُرْآنِيَّةُ الْكَرِيمَةُ الرَّكِيزَةَ فِي مُجَادَلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَمَّا احْتَارَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ فِي تَصْدِيقِ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، وَإِنَّمَا عِنَادًا وَكُفْرًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

لِذَلِكَ هَدَاهُمْ تَفْكِيرُهُمْ الْمُعْوَجُّ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ مَطَالِبَ، لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا التَّأَكُّدَ مِنْ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ غَرَضَهُمْ مِنْهَا التَّعَنُّتُ وَالتَّعْجِيزُ، وَهَذَا مَا طَلَبُوهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ:

أَنْ يُفْجُرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا؛ أَيْ أَنْ يُجْرِيَ لَهُمُ الْمَاءَ عُيُونًا جَارِيَةً.

أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ يَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا؛ أَيْ تَكُونُ لَهُ حَدِيقَةٌ فِيهَا النَّخْلُ وَالْعِنَبُ، وَالْأَنْهَارُ تَتَفَجَّرُ بِدَاخِلِهَا.

أَوْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ كِسَفًا؛ أَيْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ قِطَعًا كَمَا سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَوْ يَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا.

أَوْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ؛ أَيْ ذَهَبٍ

أَوْ يَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ؛ أَيْ يَتَّخِذُ سُلَّمًا يَرْتَقِي عَلَيْهِ وَيَصْعَدُ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

أَوْ أَنْ يَنْزِلَ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ يَقْرَؤُونَهُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «أَيْ مَكْتُوبٌ فِيهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ صَحِيفَةٌ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ تُصْبِحُ مَوْضُوعَةً عِنْدَ رَأْسِهِ».

وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ فَيُسَيِّرُ لَهُمُ الْجِبَالَ، وَيَقْطَعُ الْأَرْضَ، وَيَبْعَثَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَىٰ.

طَلَبُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجِزَاتِ كَانَتْ خُطَّةً مُتَّبَعَةً عَلَىٰ مَدَىٰ تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ الطَّوِيلِ، وَرَغْمَ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ إِيمَانِ قَوْمِهِ، وَتَفَانِيهِ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّ التَّرْبِيَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ رَبِّهِ، وَالْأَدَبَ النَّبَوِيَّ الَّذِي تَأَدَّبَ عَلَيْهِ، جَعَلَهُ يَرْفُضُ طَلَبَ الْمُعْجِزَةِ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ إِجَابَتُهُ: «مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ، أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ».

لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَمْرِ الْخَوَارِقِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَجْرَىٰ لَهُمْ تِلْكَ الْخَوَارِقَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا فَسُنَّتُهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ اسْتِئْصَالًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ**».

يَعْنِي: لَا نُعَرِّضُهُمْ لِهَذَا، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَلَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَلَوْ جَرَتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ وَجَرَىٰ لَهُمْ أَضْعَافُهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اسْتَأْنَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَلَّا يُجَابُوا إِلَىٰ مَا سَأَلُوا؛ لِأَنَّ سُنَّتَهُ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ إِذَا طَلَبَ قَوْمٌ آيَاتٍ فَأُجِيبُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا؛ عَذَّبَهُمْ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ.

- مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

٨- بَثُّ الْإِشَاعَاتِ وَالتَّشْوِيشِ؛ لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ؛ مِنَ اتِّهَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ كَاهِنٌ، وَأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَأَنَّهُ شَاعِرٌ، وَأَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَاقْتَرَحُوا عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحَاتِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَسْتَأْنِي بِهِمْ، بَلْ إِنَّهُ ﷺ يَدْعُو دَعْوَةً مُجْمَلَةً «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ مَنْ سَمَّاهُ: بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ﷺ.

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتَوَاصَوْنَ بَيْنَهُمْ بِافْتِعَالِ ضَجَّةٍ عَالِيَةٍ وَصِيَاحٍ مُنْكَرٍ عِنْدَمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ فَيَفْهَمَ فَيَتْرُكَ أَثَرًا فِي عَقْلٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ طَيِّبٍ؛ فِي ذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

- مِنْ أَسَالِيبِهِمْ:

٩- الِاعْتِدَاءُ الْجَسَدِيُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِيذَاؤُهُ بَدَنِيًّا ﷺ.

لَمْ يَفْتُرِ الْمُشْرِكُونَ عَنْ صَدِّ النَّاسِ عَنْ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكِنَّ جَمِيعَ مُحَاوَلَاتِهِمْ فَشِلَتْ، وَكُلُّ وَسَائِلِهِمْ تَلَاشَتْ أَمَامَ صَوْتِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَمَامَ هَذَا الْفَشَلِ الزَّرِيعِ وَالِانْهِيَارِ السَّرِيعِ لِمُحَاوَلَاتِ الْمُشْرِكِينَ اشْتَدَّ أَذَاهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّهُ يَضْعُفُ أَوْ يَتَرَاجَعُ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِطُ بِلَالٍ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

مِنْ ذَلِكَ إِيذَاءُ أَبِي جَهْلٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّهُ يَطَأُ عُنُقَ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ يُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ﷺ، وَقَدْ حَمَىٰ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا هَمَّ بِهِ وَجَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَآتِيَنَّهُ حَتَّىٰ أَطَأَ عَلَىٰ عُنُقِهِ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ**

فِي النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِيذَاءِ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ، وَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ تِلْكَ السَّفِيهَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ هَذَا الْبَلَاءِ؛ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

لَمَّا لَمْ تُثْمِرْ أَسَالِيبُهُمْ فِي صَدِّ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ دِينِهِمْ؛ لَجَؤُوا إِلَىٰ الِاعْتِدَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالتَّصْفِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ.

اسْتَفْحَلَ إِيذَاؤُهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الْفَتْرَةِ الْعَلَنِيَّةِ؛ لِغَضَبِهِمْ مِنْهُ حِينَ أَضْحَىٰ يُظْهِرُ شَعَائِرَ دِينِهِ مِثْلَ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ تَعَرَّضَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَذَىٰ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّىٰ دَفَعَهُ عَنْهُ ﷺ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟!

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا، فَأَتَىٰ بِسَلَا جَزُورٍ فَجَعَلَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ.

أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَىٰ وَالْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ؛ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يُنَادِي: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟ فَتَرَكُوهُ وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ.

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ بِالْأَذَىٰ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَتَفَلَ فِي وَجْهِهِ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْبُزَاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ**»؛ وَاسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ فَذَبَحَهُ السَّبُعُ وَهُوَ بِالزَّرْقَاءِ بِالشَّامِ، وَحَاوَلَتْ أُمُّ جَمِيلٍ -أَرْوَىٰ أَوِ الْعَوَاءُ بِنْتُ حَرْبٍ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، زَوْجَةُ أَبِي لَهَبٍ- أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَيْهِ بِحَجَرٍ فَحَمَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهَا، وَكَانَتْ تَحْمِلُ الْحَطَبَ لِتَضَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ﷺ.

- **مِنْ أَسَالِيبِهِمْ:**

١٠- سَعْيُهُمْ لِإِبْعَادِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ خَبَّابٌ، وَعَمَّارٌ، وَصُهَيْبٌ الرُّومِيُّ، وَبِلَالٌ الْحَبَشِيُّ، وَأَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارٌ مَوْلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأَضْرَابُهُمْ -مِمَّنْ لَهُمْ جَاهٌ عَرِيضٌ عِنَد اللهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ النَّاسِ- اسْتَهْزَأَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ!! أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَىٰ وَالْحَقِّ؟! وَلَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ دُونَنَا.

وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مُبَيِّنًا فَضْلَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِنُوحٍ نَحْوَ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٢٧-٣١].

ثُمَّ سَعَىٰ رُؤَسَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءَ وَالْأَعْبُدَ عَنْ مَجْلِسِهِ كَيْ يَجْلِسُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: لَوْ طَرَدْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ فَإِنَّهُ يُؤْذِينَا أَرْوَاحُ جُبَابِهِمْ جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثْنَاكَ، فَقَالَ: ﷺ: «**مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**».

فَقَالُوا: فَأَقِمْهُمْ عَنَّا إِذَا جِئْنَا، فَإِذَا قُمْنَا فَأَقْعِدْهُمْ مَعَكَ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: «**نَعَمْ**»؛ طَمَعًا فِي إِيمَانِهِمْ، فَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصًا عَلَىٰ ذَلِكَ غَايَةَ الْحِرْصِ، حَتَّىٰ هَمَّ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عِتَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ مَنْزِلَةِ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَعْبُدِ، وَجَاهِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا

عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْبِرُ نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ؛ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَاتَبَهُ بِشَأْنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَا زَالَ يَتَلَقَّىٰ مِنْ أُولَئِكَ مَا يَتَلَقَّىٰ مِنَ الْأَذَىٰ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ اسْتَعَانُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْيَهُودِ؛ فَأَرْشَدَهُمُ الْيَهُودُ إِلَىٰ أَنْ يَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَمَّا كَانَ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً عِنْدَهُ، وَفِيهَا قِصَّةٌ سَيَأْتِي ذِكْرُهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُقَدِّمْ الْمَشِيئَةَ فَاسْتَأْنَىٰ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَاتُ مُبَيِّنَةً الْأَجْوَبَةَ عَنْ سُؤَالَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اسْتَعَانُوا بِالْيَهُودِ فِي طَرْحِ تِلْكَ الْأَسْئِلَةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

مَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ، وَمَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ حَتَّىٰ يُؤَدُّوا إِلَيْنَا الْأَمَانَةَ؛ وَهِيَ دِينُ اللهِ جَلَّوَعَلَا مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مُصَفًّىٰ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ؛ لِكَيْ تَحْمِلُوهُ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ لِتُؤَدُّوهُ بَعْدَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ لِلْأَجْيَالِ مِنْ بَعْدِكُمْ، وِلِتَدْعُوا النَّاسَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ كَبِيرَةٌ جِدًّا، وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ مَعَكُمْ وَالْبَشَرِيَّةُ إِنَّمَا تَحْفُرُ قَبْرَها

بِظِلْفِهَا، وَتَقِفُ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَنَجَاتُهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَفِي الشَّرْعِ الَّذِي حَمَّلَكُمْ اللهُ إِيَّاهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ، وَفِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأَرْشَدِ الَّذِي تَتَّبِعُونَهُ وَتُصَدِّقُونَهُ وَتُؤْمِنُونَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ تُقَدِّمُوا هَذِهِ الْأَطْوَاقَ الَّتِي هِيَ أَطْوَاقُ النَّجَاةِ لِلبْشَرِيَّةِ التَّعِيسَةِ الْمُعَذَّبَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ تَعَاسَتِهَا وَعَذَابِهَا فَمَاذَا يَكُونُ عِقَابُكُمْ عَلَىٰ تَقَاعُسِكُمْ؟!

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com